جرائم أمريكا والغرب

٤

في البوسنة والهرسك
الذبح على الهوية

- محاولة لاستئصال الإسلام في أوروبا
- الجريمة وأصابع الاتهام

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

يخطئ من يتصور أن الصراع في البوسنة والهرسك مجرد صراع قومي بسيط بين المسلمين والكروات والصِّرب، أو حتى صراع ديني بين المسلمين والكاثوليك «الكروات» والأرثوذكس «الصرب» أي مجرد صراع ديني محدود أو مذهبي أو طائفي عادي، ولكن الحقيقة أن الصراع في البوسنة والهرسك هو صراع حضاري يضرب بجذوره في التاريخ والجغرافيا، ويمثل جدل الصراع التاريخي بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله الإسلام، والباطل الذي تمثله قوى الشيطان التي تعتبر الحضارة الغربية أهم عناصرها.

ويأخذ ذلك الصراع أبعادًا حادة، داخل أوروبا ذاتها، ذلك أن الحضارة الأوروبية باعتبارها حضارة شيطانية تريد أن تستأصل الحضارة الإسلامية ، وهي حضارة الحق والعدل والحرية، فما بالك إذا كان التحدث الحضاري الإسلامي يقع في أوروبا ذاتها مثل : حالة البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا والأقليات الإسلامية عمومًا في أوروبا الشرقية.. ويمكننا أن ندرك مدى العصبية التي تتعامل بها الحضارة الأوروبية مع المسلمين في أوروبا، خاصة إذا كانوا في تجمعات ذات ثقل مثل البوسنة والهرسك، لأن هؤلاء، وبرغم منحنى الهبوط الإسلامي حاليًا، يمثلون جمرة إسلامية تمل القيم الإسلامية العظيمة مثل اللاعنصرية والعدل وعدم ازدواج المعايير والحق والحرية.. وهي قيم قادرة على هزيمة النموذج الحضاري الغربي إذا ما قدر لها أن تدخل معه في معركة ثقافية حرة ونزيهة، وبالتالي فلابد من القضاء بالقوة والقهر والذبح والتشريد على هؤلاء الذين يحملون تلك القيم خاصة من يسكن منهم في أوربا، وهذه في حقيقة الأمر مأساة البوسنة والهرسك والتفسير الصحيح

لشلال الدم الذي يفجره الصرب على حساب المسلمين في البوسنة والهرسك، أي أن الصرب هنا مجرد أداة للحضارة الغربية عمومًا.

وصحيح أن هناك تناقضات ثانوية بين قوى الحضارة الغربية عمومًا على اعتبار أن بأس الكافرين بينهم شديد، ولكن هذه التناقضات الثانوية تتلاشى وتذوب أمام التناقض الجوهري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بين ما هو إلهي وما هو شيطاني ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

ولعل ما يؤكد هذه الحقيقة أن إسرائيل تقدم الدعم العسكري والإعلامي للصرب، في حين يقف الغرب متفرجًا على المذابح وهو الذي يزعم أنه ينصر الأقليات بل هو مستعد لجمع الجيوش وإلقاء أطنان القنابل في حالات أخرى، أما في حالة مسلمي البوسنة والهرسك الذين تعرضوا للإبادة والتشريد والذبح ووفقًا لتقسيم الأدوار، فإن الصرب يقومون بمهمة الذبح والإبادة، وإسرائيل تقدم السلاح، والغرب وأمريكا يكتفيان بالبيانات والقرارات التي لا تنفذ أو بالحركات المسرحية مثل زيارة ميتران إلى سراييفو، أو قيام بطرس غالي «وهو أرثوذكسي مصري ويا للأسف» بمنع أي تحرك دولي إيجابي بدعوى أن القاتل «الصرب» والقتيل مسلمي البوسنة والهرسك مخطآن، وأن الوقت لم يحن بعد للتدخل لإنقاذ شعب من الإبادة! وغيرها من التصريحات الاستفزازية التي يقولها بطرس غالي من وقت لآخر.

وإذا كان هذا هو سلوك الغرب، وهذا هو حال التحالف اليهودي الغربي ضد الإسلام، وهو الأمر الذي يكشف حقيقة العداء الغربي للإسلام، وحقيقة التحالف العنصري بين اليهود والغرب، وحقيقة ازدواج المعايير الغربية وانحطاط القيم

الحضارية للغرب، فهذا أمر بديهي ومتوقع، وعلى المسلمين أن يعملوا بأنفسهم لحماية أنفسهم وخوض معركة التحدي ورفع غبار التخلف والقيود والتمزق عن كاهلهم وتحقيق الوحدة والتضامن والتمسك بقيم الجهاد وهي الطريق الوحيد للحياة ، فضلاً عن تحقيق العزة والكرامة والنصر، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن إخوانهم في الدين في البوسنة والهرسك ؛ لأن هذا واجب شرعي أولاً، ولأنه جزء من الدفاع عن وجود الإسلام في العالم كله ثانيًا، بل دفاع عن وجود الحضارة الإسلامية ذاتها وعدم القضاء عليها نهائيًا وهو الهدف التقليدي للغرب واليهود. إن الدعم الذي قدمه ويقدمه المسلمون في كل مكان من العالم لإخوانهم في الدين في جمهورية البوسنة والهرسك. وهو دعم شعبي في مجمله يدل على أن الإسلام ما زال حيًا في الصدور، وأننا لا نزال أمة واحدة ولو من الناحية الوجدانية: «إذا اشتكى منها عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، وصحيح أن هذا الدعم ما زال قليلاً إلا أن الذي يحول بينه وبين التحول إلى دعم كامل وشامل ، وجود بعض الحكومات المستبدة في العالم الإسلامي التي تمنع الشعوب أن تظهر عواطفها الكاملة ، وتضع قيودًا قانونية أ ـ عملية على مسألة التضامن بين الشعوب الإسلامية.

***

وفي إطار ما يحدث في البوسنة والهرسك اليوم ، وما حدث للمسلمين في بلغاريا بالأمس القريب، فإن هناك أهمية خاصة لفهم ما حدث في الأندلس حتى لا تتكرر المأساة لأن الدوافع الأوروبية في الحالتين متشابهة، وكذلك هناك أهمية خاصة لفهم فضل الدولة العثمانية على المسلمين وخوضها الصراع المرير في أوروبا دفاعًا عن الإسلام.

***

وإذا كان دفاع المسلمين عمومًا، العرب والمصريين - بل كل الشرفاء في العالم عن أهل البوسنة والهرسك - واجبًا شرعيًا وحضاريًا بل دفاعٌ عن الأمن القومي الإسلامي بل والعربي والمصري، لأن ما يحدث في البوسنة والهرسك هو جزء من التحدي الصليبي والغربي ضد الأمة الإسلامية، وإذا نجح الغرب في استئصال الإسلام من أوروبا، فإن الدور سيأتي على باقي المسلمين، وبالتالي فالدفاع عن أهل البوسنة والهرسك هو دفاع عن الأمن القومي المصري والعربي والإسلام عمومًا، وإذا كانت جماهير الشعب المصري، والنقابات، والأحزاب بل والحكومة المصرية قد اتخذت موقفًا جيدًا في قضية البوسنة والهرسك مع اختلاف الدوافع، إلا أن هذا شيئ طيب ينبغي الاعتراف به وتدعيمه وتوسيعه، ولكن من العجيب أن البعض في حزب العمل، وبرغم المواقف العظيمة لحزب العمل عمومًا، يقف موقفًا مترددًا في هذا الأمر مثل اللواء «طلعت مسلم» في مقاله بجريدة الشعب عدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ تحت عنوان «سلام البوسنة والأمن القومي المصري» وهو المقال الذي جاء غير موفق ويشتمل على الكثير من المعاني الخاطئة، فاللواء طلعت مسلم يقول: إن الاهتمام بالبوسنة والهرسك لا يدخل في صميم الأمن القومي المصري ، فهو جزء من الأمن القومي العربي والإسلامي، أي جزء من عملية الصراع الحضاري بين الإسلام والصليبية، بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وكل ما يمس الأمن القومي الإسلامي يمس بالضرورة الأمن القومي المصري بل إن الدفاع عن البوسنة والهرسك هو في حقيقته حماية لمصر والعرب والمسلمين، لأنه إذا نجح الغرب في استئصال الإسلام من أوروبا فإن الدور سيجيء على شمال أفريقيا ، وعندما انهزمت الخلافة العثمانية في أوروبا، كانت نتيجة ذلك تعرض شمال أفريقيا بل والدول العربية جميعها إلى الاحتلال العسكري الأوروبي.

ثم إن الدفاع عن مسلمي البوسنة والهرسك واجب شرعي لأن المسلمين جسد واحد: «إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، ولا أظن أن أحدًا في حزب العمل، ولا أظن اللواء طلعت مسلم لا يؤمن بهذا الأمر، بل أزعم أن هذا من أهم مبادئ حزب العمل. ويركز اللواء طلعت مسلم في المقال نفسه، على أنه كان من الأولى على الحكومة المصرية ، أن تبادر إلى حماية أهالي لبنان، والأراضي المحتلة في فلسطين من القتل والتعذيب والسجن ومصادرة الأراضي والممتلكات، ونحن مع اللواء طلعت مسلم في ذلك تمامًا، ولكن هل إذا قصرت الحكومة المصرية في مجال، ثم أخذت موقفًا لا بأس به في مجال آخر نهيل عليه التراب أيضًا أم نستعيذ منه..؟ ثم إنه من المفروض أننا لا نعارض في سبيل المعارضة فقط. بل نقول للحكومة المصرية في قضية فلسطين أخطأت، بل نقول لها أنت عاجزة ونقول لها في موقفها من البوسنة والهرسك : هذا موقف صحيح ومشرف لكنه أقل من المطلوب.

وفي إطار المواقف المصرية، فإن موقف الكنيسة المصرية، وهي جزء لا يتجزأ من الانتماء الحضاري الإسلامي، بدا في أول الأمر غريبًا وساكتًا بما يوحي أنه يبارك إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك ثم تعدل هذا الموقف نتيجة وجود ضغط عام قوي، وأخيرًا أصدر البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة المصرية بيانًا أدان فيه مذابح الصرب تجاه المسلمين وتبرأ من عمل الكنيسة الأرثوذكسية في يوغسلافيا، وبذلك أعاد الأمور إلى مجراها الطبيعي ووقف الموقف الذي تمليه عليه انتماءاته الوطنية وتراث كنيسته القبطية التي ترفض الاندماج في كنائس الغرب، وتعلن انتماءها إلى المشروع الحضاري الإسلامي.

إلا أن أغرب المواقف وأكثرها استفزازًا كان موقف الدكتور «بطرس غالي»،

وهو مصري قبطي أساسًا، وصحيح أنه سكرتير عام الأمم المتحدة بما يفرضه عليه المنصب من شروط، إلا أنه خان شروط الأمم المتحدة ذاتها وبدا موقفه أسوأ من مواقف مجلس الأمن والدول الكبرى بخصوص هذه القضية، بل نراه يعطل عمل القوات الدولية في إغاثة أهالي سراييفو، بل ويعلن مرارًا وتكرارًا أن على الأمم المتحدة ألا تتدخل في هذه القضية ولا يكترث بذبح ٦٠ ألف مواطن بوسني وتشريد مئات الآلاف وتدمير المساكن ومصادرة ممتلكات المسلمين لصالح الصرب، بل أكثر من هذا يدعي أن الجميع مخطئون في قضية البوسنة والهرسك برغم أن هناك رأيًا عامًا عالميًا لم يستطع أن يبتلع جرائم الصرب في البوسنة والهرسك، أي أن بطرس غالي يساوي بين القاتل والقتيل، بين من يَذبح ومن يُذبح «الأولى بفتح الباء والثانية بضم الباء»، ووصل الأمر إلى حد الثورة على أعضاء مجلس الأمن إذا ما اتخذوا موقفًا ضد الصرب.

وقد نقلت الأهرام في عدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ نصًا في غاية الخطورة حول المواقف المشينة لبطرس غالي. تقول الأهرام: «ثار خلاف حاد ـ نادر الحدوث ـ بين بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة من جانب، ومجلس الأمن الدولي والمجموعة الأوربية من جانب آخر حول نصوص وقف إطلاق النار الأخير في البوسنة والهرسك، فقد وجه بطرس غالي انتقادات حادة لمجلس الأمن بسبب إقراره النص الخاص بتسلم الفصائل المتناحرة في سراييفو الأسلحة الثقيلة إلى قوات الحماية الدولية المرابطة هناك، وشكا غالي في رسالة حادة إلى مجلس الأمن من أنه لم يؤخذ رأيه قبل توقيع الاتفاق، مشيرًا إلى أنه أبلغ لورد كارينجتون وسيط المجموعة الأوروبية بأن اقتراح تسليم الأسلحة للقوات الدولية غير واقعي، ورد كارينجتون قائلاً: إنه لا يعتقد أن هذه المسألة كانت تستدعي التشاور مع غالي حيث كان الأمين

العام «بطرس غالي» قد تلقى طلبًا بالفعل من الفصائل المتناحرة بضرورة تنفيذ مثل هذا الاقتراح الخاص بتسليم الأسلحة، أي أن بطرس غالي لا يريد تسليم الأسلحة الثقيلة ومن المعروف أن السلاح الثقيل بحوزة الصرب الذين سيطروا على كل سلاح الجيش اليوغسلافي السابق، وكأن بطرس غالي يريد أن تستمر تلك الأسلحة الثقيلة بيد الصرب ليبيدوا بها المسلمين. ومن الغريب هنا أن موقف بطرس غالي أسوأ من موقف أعضاء مجلس الأمن ومن اللورد كارينجتون نفسه، وإذا كانت الدول الكبرى قد اتبعت أسلوب الإدانة للصرب ثم لا شيء وترك الصرب يبيدون المسلمين، أي مجرد قرارات حبر على ورق على سلوك مجلس الأمن والدول الكبرى في أزمات سابقة تحركت فيها آلاف الطائرات والصواريخ وقطع الأسطول، إلا أن مجرد الإدانة للصرب لا يعجب بطرس غالي وتجعله يثور على مجلس الأمن، فهل يريد بطرس غالي أن يبارك ذبح المسلمين في البوسنة والهرسك؟!

■ ■ ■

obeikan.com

خطاب اللّه وخطاب الشيطان

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾

[النساء : ١٠٢]

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الإسلام، هو خطاب الله للبشر، كل البشر، أمس واليوم وغدًا، الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، وهو خطاب التوحيد والحق والعدل والحرية والمساواة واللاعنصرية، أما خطاب الشيطان فهو كل ما يحول بين الإنسان وذلك، أي هو الاستبداد السياسي الذي يمنع الناس من حرية الاعتقاد والتفكير ويفرض على الناس رأي الحاكم والكهنة، خطاب الشيطان هو الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل كل الثروة في يد طبقة أو مجموعة من البشر على حساب جموع الناس، خطاب الشيطان هو الانحراف الأخلاقي والانحلال، هو الظلم والقهر والعنف والنهب.

خطاب الله تعالى يمثله الإسلام والحضارة الإسلامية، وخطاب الشيطان تمثله أشياء وقوى كثيرة ومتنوعة أهمها قديمًا وحديثًا هي الحضارة الغربية، ولذا كان من الطبيعي أن يحدث صدام بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية.

الحضارة الإسلامية حضارة التوحيد، أما الحضارة الغربية فهي حضارة وثنية في كل مراحلها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية وحتى الحضارة الغربية الحديثة الرأسمالي منها، والاشتراكي والشيوعي والنازي والفاشي فهي تؤلِّه الأوثان والأشخاص أو المادة أو الحزب أو الفكرة وهكذا.

الحضارة الإسلامية هي حضارة الحرية بل هي تكافل من أجل الحرية والجهاد الإسلامي في جوهره جهاد لتحرير كل البشر من الحكام الطغاة والأنظمة المستبدة والظلم الاجتماعي، ووضع الناس على طريق الاختيار الحر بلا إكراه من حاكم مستبد أو أجهزة قمعية متوحشة ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾... ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، أما الحضارة الغربية في كل مراحلها وروافدها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية، الرأسمالية والشيوعية والنازية

والفاشية والاشتراكية فهي حضارة القهر والضعف وإرغام الناس على مبادئ مدنية وإلا قتلوا وصلبوا وحرقوا وسجنوا وشردوا.

الحضارة الإسلامية حضارة العدل وإنصاف الفقراء والمظلومين والكادحين والمحرومين والمطحونين «كي لا تكون دولة بين الأغنياء»... «ليس منا من بات شبعانًا وجاره جائع»... «والجار هنا قد يكون فردًا أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة وهكذا»...« إذا جاع الناس فلا مال لأحد».. «لأخذت فضول أموال الأغنياء فرَّدتها على الفقراء».

أما الحضارة الغربية فهي حضارة النهب، نهب الشعوب، ونهب الطبقات بعضها لبعض، حضارة المجاعات وموت الأطفال.

الحضارة الإسلامية حضارة ذات مسئولية أخلاقية، فهي أمينة على البيئة وعلى مستقبل الحياة البشرية على الأرض.. فلا إنتاج لأشياء ضارة تلوث البيئة أو تدمر الكائنات أو تشكل خطرًا على الأمان البيولوجي على الأرض، فكل شيء يخضع لتوجيهات وأهداف عُليا تحرص على التوازن الفردي والجماعي، وتحرص على عدم الإفساد البيولوجي والبيئي وتحرص على أن يكون هدفها سعادة الإنسان وليس مجرد الربح والإنتاج بلا ضوابط أخلاقية أما الحضارة الغربية، فهي تقوم على فكرة المنفعة اللاأخلاقية وبالتالي وفي سبيل هذه المنفعة يمكن أن تدمر وتقتل الإنسان والحيوان والغابات وتفسد البيئة وتلوث الأرض وتهدد مستقبل الوجود البشري على الأرض ذاته.

الحضارة الإسلامية حضارة المساواة والعدل واللاعنصرية وعدم ازدواج المعايير، فهي حضارة شارك في بنائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، ولا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، والأسود أخو الأبيض.. «**إن أكرمكم عند الله**

أتقاكم»، وهي حضارة ذات معايير واحدة غير مزدوجة.. «والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمدٌ يدها» والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يأمر بضرب ابن عمرو ابن العاص أمير مصر بيد قبطي مصري قصاصًا لضرب هذا القبطي المصري على يد ابن عمرو بن العاص ويقول له: «اضربه كما ضربك.. اضرب ابن الأكرمين» والله تعالى يرشد المسلمين إلى ضرورة عدم ازدواج المعايير حتى مع الأعداء وحتى مع كرههم ﴿ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

أما الحضارة الغربية فهي حضارة التفرقة العنصرية والدينية، بل قامت في طورها الحديث على إبادة شعوب مثل الهنود الحمر واسترقاق شعوب مثل الأفارقة ونهب العالم كله، وهي حضارة مزدوجة المعايير فهي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان ثم تغمض عينها عن ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني.

❊ ❊ ❊

وما دام الأمر كذلك فإنه من الطبيعي أن يحدث صدام وصراع حتميين بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فالمسلمون مأمورون من الله تعالى بالجهاد من أجل تحرير كل البشر وإزالة جميع أشكال الطغيان والظلم والاستبداد والقهر والحرمان والعنصرية وكلها قيم كانت ـ ولا تزال ـ سائدة في الحضارة الغربية، أي لابد من الجهاد ضد الحضارة الغربية، والحضارة الغربية من ناحيتها وجدت أنه من الضروري ـ حفاظًا على مصالح حكامها واستمرارًا لقيمها المنحطة واستمرارًا لنهبها وقهرها للشعوب والطبقات ـ أن تحاول استئصال شأفة الحضارة الإسلامية حيث لا مستقبل للحضارة الغربية إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.

وقد بدأ هذا الصراع مبكرًا جدًا، واستمر في الزمان والمكان حتى يومنا هذا، ففي

حياة الرسول ﷺ - أي منذ البداية - حدثت أربع مواجهات مع الروم وحلفائهم، مرة في «دومة الجندل» ومرة في «مؤتة»، ومرة في «موطن قبائل قضاعة»، ومرة في «تبوك». وفي آخر حياة الرسول ﷺ تم تجهيز جيش أسامة بن زيد للذهاب إلى الشام، ولما مرض الرسول تعطل خروج هذا الجيش وكان من وصايا الرسول ﷺ في مرضه الأخير إنفاذ جيش أسامة، وقد وفى الخليفة الصديق ﷺ بذلك رغم ظهور مشاكل الردة في الجزيرة العربية نفسها.

وفي عهد الخلفاء الراشدين استمر الصراع في الشام وشمال أفريقيا ضد الروم حتى تم فتح بلاد الشام ومصر وغيرهما، ثم في عهدي الخلافتين الأموية والعباسية استمر الصراع في الشام وشمال أفريقيا وفتح المسلمون الأندلس ووصلوا إلى فرنسا ذاتها وأوغلوا فيها إلى نهر الدون سنة ١١٤ هـ.

وعندما بدأ الضعف يسري في جسد الأمة الإسلامية، التقطت الحضارة الغربية الفرصة وبدأت ضغطها على العالم الإسلامي، ففي سنة ١٣٧ هـ. وفي أثناء حكم الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور غزا قسطنطين الرابع بعض أراضي الشام واستولى على ملطية وضرب حصونها إلا أن المسلمين استعادوا تلك الأرض واستمر صمودهم بل توسعوا على حساب الروم، ومع ازدياد تفكك العالم الإسلامي ظهرت الحملات الصليبية في الشرق ١٠٩٨ إلى ١٢٩٥ ثم الضغط على المسلمين في الأندلس إلى أن تمت إبادتهم وطردهم بدءًا من عام ١٤٩٢، وقبل ذلك وأثناء ذلك وبعد ذلك كان الصراع على أشده بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في المغرب العربي حيث تعرضت الجزائر مثلاً إلى ١٠٠ حملة صليبية بعد سقوط الأندلس.. حملات إنجليزية وفرنسية وبرتغالية وأسبانية وهولندية بل وأمريكية.

ومع ظهور الخلافة العثمانية، نجح المسلمون في التوحد تحت قيادتها وخوض المعارك القاسية في أوروبا ضد الحضارة الغربية ونجحت الدولة العثمانية في جعل أوروبا في حالة دفاع بل وحرر محمد الفاتح القسطنطينية ١٤٥٢ ووصلت جيوش العثمانيين إلى أسوار فيينا وروما.

ومع ضعف الدولة العثمانية استردت أوروبا الهجوم على العالم الإسلامي، ووصل الأمر إلى إنهاء الحكم العثماني في أجزاء كبيرة من أوروبا ثم الهجوم على العالم الإسلامي عمومًا في آسيا وأفريقيا، واحتلال الكثير من بلاده ، فيما عرف بالاستعمار الحديث، الذي بدأ بحملة بونابرت على مصر ١٧٩٨، ثم انتهى الأمر إلى إسقاط الخلافة العثمانية وتمزيق وحدة العالم الإسلامي وسقوط كل بلاده تقريبًا في قبضة الاستعمار، ثم تسليم فلسطين لليهود ليقيموا فيها دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في أوروبا

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

كان من الطبيعي أن يحدث صدام سريع وكبير بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لأنه من الطبيعي أن يحدث صدام بين حضارة تمثل التوحيد والحرية والعدل والمساواة واللاعنصرية والمسئولية الأخلاقية ، وحضارة تمثل الوثنية والقهر والعنف والاستبداد والظلم والعنصرية والمنفعة اللاأخلاقية ونهب الشعوب والطبقات. كان من الطبيعي أن يحدث الصدام لأن المسلمين مأمورون من الله تعالى بالجهاد في سبيل تحرير الناس من العنف والقهر والنهب والظلم والعنصرية، أي من الممارسات والقيم نفسها التي تمثلها الحضارة الغربية، ولأن قادة الحضارة الغربية والمستفيدين من قمعها ونهبها وظلمها رأوا خطرًا شديدًا على مصالحهم من القيم الحضارية الإسلامية التي تغري الشعوب بالثورة على هؤلاء القادة والحكام والكهان الذين يقودون مسيرة الحضارة الغربية الظالمة.

وقع الصدام منذ حياة الرسول ﷺ واستمر في الزمان والمكان في آسيا وأفريقيا وأوروبا، ولكنه اتخذ أبعادًا خاصة داخل أوروبا ذاتها، وكان المسلمون قد نجحوا في دخول الأندلس ووصلوا إلى جنوب فرنسا، كما نجح العثمانيون في الوصول إلى أسوار فيينا وجنوب روما، ودخل قطاع لا بأس به من أهل أوروبا أنفسهم في الإسلام مثل أهل ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعدد آخر في بلغاريا ورومانيا وغيرهما، بحيث صار هؤلاء يمثلون أولاً قاعدة حضارية وأخلاقية إسلامية قادرة على تحدي النموذج الحضاري الغربي في عقر داره وتمثل أيضًا مجالاً لجذب باقي الشعوب الأوروبية إلى الإسلام لأنه سيكون حيًا بقيمه أمامهم من خلال الكتل السكانية المسلمة في أوروبا، وكان معنى هذا أن هناك خطرًا ماحقًا على وجود الحضارة الغربية ذاتها وفي عقر دارها، ولذلك تميز رد الفعل الغربي الاستكباري تجاه المسلمين في أوروبا بالعصبية الشديدة والقمع والاضطهاد

والإبادة والحصار بلا هوادة، وما حدث في الأندلس، وما حدث في بلغاريا وما يحدث اليوم في البوسنة والهرسك مجرد نماذج على ذلك السلوك حيث يتعرض المسلمون للإبادة الجسدية وللتصفية الحضارية والثقافية، فغير مسموح بوجود أسماء إسلامية أو ثقافة إسلامية أو تعليم إسلامي، بل حتى غير مسموح بقبر إسلامي كما حدث في الأندلس.

وهناك نموذجان للصراع بين الإسلام والحضارة الغربية في أوربا وهما : حالة الأندلس وحالة الدولة العثمانية.. ففي الأندلس وحالة الدولة العثمانية.. ففي الأندلس، دخل المسلمون إليها سنة ٩٢ هـ ـ إلى ٩٥ هـ، ٧١١ م إلى ٧١٤ م وحرروا أهلها من ظلم حكامها القوط، فدخل أهلها في الإسلام طواعية، وأخذت المساحات التابعة للمسلمين تزداد حتى وصلت إلى ٧٠٠ ألف كيلو متر مربع، بل ووصل المسلمون إلى جنوب فرنسا وهدَّدوا باريس ذاتها. ثم أخذ الضعف والتفكك يسري في أوصال المسلمين ، فتراجعت المساحة التابعة للمسلمين في الأندلس ٤٤٠ ألف كيلو متر مربع، بعد عام ٣٥٠ هـ، ٩٦١ م، وقام بابا روما بالدعوة إلى قتال المسلمين وطردهم من الأندلس. وتحالفت كل القوى الصليبية لإخراج المسلمين من الأندلس، وبدأ الأمر بين «كر» و«فر»، فإذا توحد المسلمون، وكان المغرب العربي قويًا ؛ فصمد المسلمون وانتصروا مثل أيام المرابطين والموحدين ومع تفكك المسلمين في الأندلس وضعف المغرب العربي كانت القوى الصليبية تحقق انتصارات على المسلمين، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى سقطت غرناطة بيد الصليبيين سنة ١٤٩١ بعد حكم إسلامي للأندلس دام ثمانية قرون، وبعد سقوط غرناطة، استمر المسلمون في الأندلس يقاومون وينظمون الثورات مدة قرنين من الزمان ثم نجح الصليبيون بواسطة عمليات القتل والمذابح ومحاكم التفتيش في القضاء

على عدد كبير من المسلمين ، ففر بعضهم إلى الغرب العربي وتعرض الباقون إلى الذبح و القتل وكان الصليبيون يقتلون كل مسلم، بل يقتلون النصارى إذا كانوا من أصل سلامي، بمعنى أنه إذا تنصر أحد المسلمين فإن هذا لا يحول دون قتله، ووصل الأمر إلى حد عدم ترك حتى قبر واحد لمسلم في بلاد الأندلس.

أما الصراع مع الحضارة الغربية من خلال الدولة العثمانية فقد استمر لفترة طويلة، بل يمكننا : أن نقول أن الدولة العثمانية أدخلت الإسلام إلى قلب أوروبا، ونجحت في إنقاذ العالم الإسلامي في ذلك الوقت من مصير مظلم كانت أوروبا تعدُّ له، بل قلب الكفة لصالح الإسلام فحررت القسطنطينية ١٤٥٣ م، ووصلت إلى أسوار روما وفيينا وأدخلت أهالي ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعددًا لا بأس به في رومانيا وبلغاريا وغيرهما في الإسلام، بل إن التآمر الواسع الذي تعرضت له الدولة العثمانية على يد دول أوروبا كان بسبب بلاء الدولة العثمانية العظيم لخدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين بل وتهديد أوروبا ذاتها في القلب، ولعل الحقد الكبير والكراهية التي تحظى بها الدولة العثمانية لدى العلمانيين في بلادنا وهم عملاء لأوروبا ولقيمها الحضارية يرجع إلى هذا السبب. ولعل بدايات الصدام [1] بين الدولة العثمانية وأوروبا كان عام ١٤٣٥ عندما عبر العثمانيون مضيق البوسفور ، واستولوا على شبه جزيرة غاليبولي، ثم تعدوا أوروبا ففتحوا مدينة أدرنة عام ١٣٥١ م بقيادة مراد بن أردخان وجعلوها عاصمة للدولة الإسلامية الفتية في أوروبا، وعقب ذلك، دعا البابا إلى حروب صليبية اشتركت فيها دول البلقان ونصارى الغرب فانتصر عليهم مراد الأول وفتح صوفيا ونيس ومقدونيا وسالونيك، ثم عاود الصليبيون الكرة فتصدَّى لهم «با يزيد» الذي خلف مراد

(١) نقلاً عن كيف دخل الإسلام البلقان ـ رسالة المهندس ـ عدد خاص.

الأول وهزمهم وأسر ملك الصرب، وضم صربيا إلى الدولة العثمانية بما فيها مدينة بلجراد، عاصمة صربيا حاليًا، سنة ١٤٥٢، وحاول سيجموند ملك المجر بجيش من الفرسان الذين تطوعوا من أوروبا الغربية ودول البلقان لكن با يزيد هزمهم وطاردهم حتى النمسا وحاصر فيينا، وفي سنة ١٤٥٣ م قام السلطان محمد الفاتح بفتح القسطنطينية ، وأنهى بذلك وإلى الأبد «الإمبراطورية البيزنطية»، التي ناصبت المسلمين العداء لمدة طويلة ومستمرة «حوالي ثمانية قرون» وأصبحت إسلامبول أو مدينة الإسلام أو دار الإسلام، الاسم الجديد للقسطنطينية عاصمة للدولة الإسلامية العثمانية منذ فتحها حتى ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ عندما سقطت الخلافة العثمانية على يد الخائن أتاتورك، فحول عاصمة تركيا إلى أنقرة بدلاً من إسلامبول، وواصل محمد الفاتح جهاده فهزم صربيا وضمها إلى الدولة الإسلامية وواجه حلفًا من البندقية والألبان فدمرهم وضم ألبانيا للدولة العثمانية عام ١٤٦٨، وتوغل في البلاد التابعة للبندقية على ساحل بحر الأدرياتيك واستولى على مدينة «تارنتو» الإيطالية عام ١٤٨٠ بعد أن سيطر على المضايق التي تفصل إيطاليا عن البلقان وهدد روما عاصمة إيطاليا نفسها، وأصبح المسلمون سادة البحر المتوسط والأدرياتيك ومضايقهما، ثم توالت الفتوحات الإسلامية العثمانية فتم فتح الهرسك عام ١٤٨١ ثم معظم كرواتيا ثم وصل العثمانيون إلى سلوفينيا ولكنهم لم يفتحوها، ثم ضعفت الدولة العثمانية بعد ذلك ففقدوا كرواتيا أوائل القرن السابع عشر ثم الجبل الأسود سنة ١٦٩٧ م، ثم استعادها العثمانيون سنة ١٧٣٨ م، ثم تخلَّى العثمانيون عن بلاد البوسنة والهرسك وكذلك ألبانيا والجبل الأسود وكوسوفو سنة ١٩١٢ وهكذا استمر الحكم العثماني ٤٠ سنة في كرواتيا و ٣٨٠ سنة في صربيا، و ٤١٥ في البوسنة والهرسك و ٤٢٠ في الجبل الأسود و ٤٣٠ في كوسوفو، و٥٤٧ سنة في مقدونيا، مما ترتب عليه دخول عدد كبير من أبناء هذه البلدان في الإسلام

خاصة ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك فضلاً عن أقليات إسلامية في صربيا وكرواتيا ومقدونيا والجبل الأسود، بالإضافة إلى أقليات إسلامية في رومانيا وبلغاريا وغيرهما.

وعلينا أن نلاحظ في تجربتي الأندلس والدولة العثمانية، أنه بعد ضياع الأندلس، حاول الصليبيون احتلال المغرب العربي، وسجلت الحوادث أكثر من ١٠٠ محاولة لغزو الجزائر بعد سقوط الأندلس حتى عام ١٨٣٠ ، وهذا يؤكد أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا هو حماية في حد ذاته للإسلام في شمال أفريقيا، كما أنه مع ضعف لدولة العثمانية فإن الأهداف الأوروبية لم تقتصر على القضاء على الإسلام في أوروبا بل اتجهت الأطماع الأوروبية نحو البلاد العربية والإسلامية، وكانت النتيجة سقوط الكثير من الدول العربية والإسلامية تحت سيطرة الاستعمار، بل ضاعت فلسطين، أي أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا يدخل في صميم الأمن القومي العربي والإسلامي.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الأقليات ....
عندنا وعندهم

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

اضطهاد الأقليات، بل الأغلبيات سلوك تقليدي في مسيرة الحضارة الأوروبية، فلم ينج أحد من اضطهاد الحضارة الأوروبية، مثل إبادة الهنود الحمر في أمريكا، وكذلك أهل استراليا الأصليين، واسترقاق الأفارقة، واضطهاد ونهب شعب الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي وشعب ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي، وتشريد الشعب الفلسطيني وذبحه وقمعه على يد اليهود بالتحالف مع الغرب، والأمر نفسه في إبادة المسلمين في الأندلس بحيث لم يبق حتى قبر واحد لمسلم، وما يتعرض له المسلمون في بلغاريا ورومانيا من تدمير للثقافة والهوية والطرد، وأخيرًا وليس آخرًا ما يتعرض له شعب البوسنة والهرسك، وهذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك لحرب الإبادة والتشريد.

أما في إطار الحضارة الإسلامية، فلنستمع إلى هذه الشهادة والتي جاءت في كتاب حاضر العالم الإسلامي، للأمير شكيب أرسلان تحت عنوان «التعصب الأوروبي

أو التعصب الإسلامي»، يروي الأمير شكيب أرسلان أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال الدولة في أوروبا فيما يتعلق بموضوع التعصب، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم، مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا، ولو كنا قادرين على استئصالهم، ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نُبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام، فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا، كما وقع للسلطان سليم الأول العماني تقوم في وجهه الملة، ويحاجه مثل زنبيلي على أفندي شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة: ليس لك على النصارى

واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم، فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الحنيف، فبقيَ بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس، وكلهم كانوا أمنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه إذا بقي بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوبي فرنسا وفي شمال إيطاليا وفي جنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هاتيك الأوطان أعصرًا مديدة، وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم».

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

حتى لا تتكرر مأساة الأندلس

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

فتحت البوسنة والهرسك على يد الخليفة المسلم «محمد الفاتح»، في إطار فتوحات الدولة العثمانية في أوروبا عمومًا ودول البلقان خصوصًا.

وكان فتح البوسنة والهرسك سنة ١٤٨١، وقد دخل أهلها الإسلام، وتمسكوا به، وأصبح المسلمون في البوسنة والهرسك يمثلون اليوم ٥٥ ٪ من السكان بالإضافة إلى ٣٤ ٪ من الصرب، ١١ ٪ من الكروات، كما يوجد عدد من المسلمين في صربيا وكرواتيا وغيرهما من بلاد البلقان. ومع ضعف الدولة العثمانية وتضاؤل نفوذها في أوروبا، وتخليها عن الكثير من المناطق المفتوحة، كان من الطبيعي أن تتعرض البوسنة والهرسك لمحاولات مستمرة لإبادة المسلمين فيها والقضاء على الثقافة الإسلامية فيها وفي غيرها من البلاد الأوروبية وتقع جمهورية البوسنة والهرسك في منتصف يوغسلافيا سابقًا فيحدها من الشمال والغرب كرواتيا ومن الشرق صربيا ومن الجنوب الجبل الأسود.

وكانت جمهورية البوسنة والهرسك ضمن الاتحاد اليوغسلافي الذي كان يضم صربيا، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، الجبل الأسود، البوسنة والهرسك.

في أعقاب الحرب العالمية الأولى قام الصرب بعمل مذابح جماعية لمسلمي البوسنة والهرسك، وقاموا بحرق ٢٧٠ قرية مسلمة وقتل عدة آلاف من المسلمين نساء وأطفالاً وشيوخًا، الأمر الذي أدى إلى هروب ٣٠٠ ألف مسلم من البوسنة وتشريدهم.

في عام ١٩٤١ قام الصرب بذبح ٦٠ ألف مسلم وألقوا بهم في نهر الفولجا وتحولت مياه النهر إلى دماء.

عقب الحرب العالمية الثانية قامت حرب بين الصرب والكروات دفع المسلمون ثمنها إذ انتهت بتقسيم البوسنة والهرسك فيما بينهما.

■ المذبحة الأخيرة:

منذ عدة أشهر تدور مذبحة كاملة لأهالي البوسنة والهرسك عقب انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي بعد التحولات الأخيرة في أوروبا الشرقية، أعلنت العديد من دول ذلك الاتحاد استقلالها عن الاتحاد، مثل كرواتيا وسلوفينيا، ووجدت هاتان الدولتان من يحميهما من اعتداءات الصرب حيث أنهما من الكاثوليك، فتحرك البابا في روما وتحركت أوروبا، أما عندما أعلنت البوسنة والهرسك استقلالهما عن الاتحاد اليوغسلافي فإن شلالات الدم المسلم قد تفجرت على يد الصرب الأرثوذكس الذين يريدون إقامة صربيا الكبرى على حساب المسلمين أساسًا، وعلى حساب اقتطاع ٦٠٪ من أرضهم وتشريدهم وتدمير ملامح حضارتهم من مساجد ومدارس، وإذا كان تيتو [1] رئيس يوغسلافيا السابق قد مارس الاضطهاد ضد المسلمين، لأنه لا أحد يحميهم، فإن قادة صربيا الآن يتابعون المخطط بكثافة وقسوة، ويستند الصرب على تراث طويل من العداء للمسلمين، ففي المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية باسم «إكليل الجبل» كتبها مسيحي أرثوذكسي صربي متعصب تقول «سلك المسلمون طريق الشيطان، دنسوا الأرض، ملأوها رجسًا، فلتعد للأرض خصوبتها ولنطهرها من تلك الأوساخ. ولنبصق على القرآن، ولتطير رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدًا، فليذهب غير مأسوف عليه »ويستند الصرب أيضًا على فتاوى كنيسة تبيح قتل المسلمين وهتك عرض المسلمين، وهذه هي المسيحية الأوربية المتعصبة، فالكنيسة الأرثوذكسية الصربية أصدرت فتوى تبيح نساء المسلمين للأرثوذكس المسيحيين الصرب، بل إنه

(١) كانت السلطات اليوغسلافية تطارد المسلمين النشطين مثل علي عزت بيكوفتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك حاليًا فلقد أمضى في السجن مدة ١٥ سنة في عهد تيتو.

عندما تقع المسلمات في الأسر يتم هتك عرضهن مع إرسال بعضهن إلى مناطق المسلمين، مقطوعات الأثداء، عليهن آثار الاعتداء الوحشي.

وحين يفعل الصرب الأرثوذكس ذلك، فإن المسلمين يتصرفون وفقًا لسماحة لإسلام، ففي قرية جورنيه توليبه مثلاً، وهي قرية مسلمة، وعندما لجأ إليها بعض 'لصرب الأرثوذكس هربًا من المعارك حول مدينة بوسنسكي برود، حيث نجحت قوات الدفاع الإسلامي فيها في رد الاعتداء الصربي، لجأ سكانها الصرب إلى قرية «توليين» التي أحسنت استقبالهم وأمنتهم على أنفسهم وأطعمتهم وألبستهم، اعتقادًا من أهل تلك القرية المسلمة بأنهم لا ذنب لهم في العدوان الصربي على المسلمين، فما كان من هؤلاء اللاجئين من الأرثوذكس إلى المسلمين، إلا أن شاركوا هم أنفسهم في المذبحة التي وقعت فيما بعد ، عندما دخل الجيش الصربي تلك القرية وكان أول بيت يذبحون أصحابه هو البيت الذي استضافهم وتناولوا فيه الطعام وارتدوا الملابس، وهذا هو الفرق بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب الصليبي.

***

ورث الجيش الصربي، كل السلاح الثقيل التابع للجيش اليوغسلافي السابق، وهذا الجيش اليوغسلافي السابق كان من أقوى الجيوش وأكثرها عتادًا وسلاحًا فاستخدم الصرب هذا السلاح في قتل المسلمين وتقطيع أوصال البوسنة والهرسك، فبلغ عدد القتلى حتى نهاية شهر يوليو ١٩٩٢، ٦٠ ألف قتيل و ١٠٠ ألف جريح، و ٤٠ ألف معوق، و ١,٥ مليون لاجئ، وقد سجل صحفيون محايدون ووكالات أنباء شرقية وغربية كيف قام الصرب بعمل المذابح المروعة وهدم البنية الأساسية لجمهورية البوسنة والهرسك، وتدمير المساجد والآثار الإسلامية، ووصل الأمر إلى حد سير الدبابات الصربية فوق المسلمين من أهل البوسنة وهم أحياء، وبقر بطون

النساء الحوامل، بل واستخدام أجساد أطفال المسلمين في صنع الأعلاف، ويستهدف الصرب من وراء ذلك كله تكسيح جمهورية البوسنة والهرسك واقتطاع أجزاء كبيرة منها وخلخلة التفوق السكاني الإسلامي في الجمهورية، والقضاء على الثقافة والآثار الإسلامية فيها، وهذا كله بموافقة وصمت المجتمع الدولي! الذي يدعي أنه يحمي الأقليات ويرفض تدمير الهوية الثقافية لأي مجموعة سكانية في أي مكان من العالم!

***

ولكن أين جيش المسلمين في البوسنة والهرسك من كل ذلك ، ولماذا لا يستطيع الصمود؟ وفي الحقيقة فإن القوات المسلحة في البوسنة والهرسك بلا إمكانيات تقريبًا، ذلك أن كل السلاح الذي كان مملوكًا للجيش اليوغسلافي السابق وقع كله في يد الصرب، وهو جيش كان يعد الرابع في العالم، أي أن هناك جيشًا صربيًا قويًا في مواجهة جمهورية البوسنة والهرسك الوحيدة التي بلا جيش قوي بل جيش حديث التكوين يتكون من ١٥ ألفًا من المقاتلين المتطوعين لا يملكون سوى ١٩ دبابة فقط، وبالتالي فإن هناك خللاً كبيرًا في ميزان القوى لصالح الصرب، والأمر أشبه بجيش قوي يقاتل أناسًا عزل من السلاح، ومع ذلك، ورغم ذلك، فإن مقاتلي البوسنة والهرسك يبلون بلاءً حسنًا بل ويحصلون على سلاحهم وذخيرتهم من الغنائم من خلال المعارك التي يخوضونها ضد القوات الصربية، ومن العجيب أنه رغم الحاجة الماسة للسلاح التي تبديها قوات البوسنة فإن العرب والمسلمين لا يعطونهم شيئًا ، اللهم إلا بعض المعونات من الغذاء والملابس، وهم يحتاجون أساسًا إلى السلاح للدفاع عن أنفسهم.

***

■ أبعاد المؤامرة:

لكل أهدافه في صراع البوسنة والهرسك، فالمسلمون يريدون الحفاظ على جمهوريتهم الوليدة، والدفاع عن حدودها الشرعية أما الصرب، فهم يريدون إقامة جمهورية صربيا الكبرى على حساب أراضي المسلمين في البوسنة والهرسك، أما لكروات فقد وقعوا اتفاقًا غير مكتوب مع الصرب يتم بمقتضاه اقتسام أراضي لبوسنة الهرسك بين الصرب والكروات على حساب المسلمين، يقول مستشار الرئاسة لبوسنية خير الدين سمون في تصريح له بجريدة «الحياة» عدد ١٧/ ٧/ ١٩٩٢: «كل شيء ممكن هذه الأيام بين دولتي الصرب وكرواتيا ضد البوسنة، فنحن نعلم أن الرئيسين الصربي سلوبودان ميلوسيفتيش والرواتي فرانيو تودجمان اجتمعا قبل عام ونصف العام في منطقة كارجور جوفا الحدودية بين الصرب والكروات وحصل بينهما اتفاق غير مكتوب لتقاسم المصالح» ويضيف مستشار الرئاسة البوسنية: «نحن نعلم أيضًا أن العناصر الكرواتية المتطرفة في البوسنة والهرسك تعمل ضد مصالح البوسنة، ولا يستغرب وجود أطراف دولية أوروبية ضالعة في هذه المؤامرة التي تعود جذورها إلى بداية القرن الحالي».

إذن ، فالمؤامرة قديمة جديدة وتستهدف منع قيام كيان إسلامي في أوروبا، ولأن المخطط واضح لكل من له عينين فإن كاتبًا مثل الأستاذ سلامة أحمد سلامة، وهو ممن لا يمكن اتهامهم بالتطرف الإسلامي مثلاً كتب في أهرام (١٦/ ٧/ ١٩٩٢) يقول: «منذ عدة أسابيع ينشغل مجلس الأمن، والأمم المتحدة وأمينها العام، والدول الخمس الكبرى بمشكلة البحث عن أوراق ومستندات في أحد الأدراج بأحد المكاتب في وزارة الزراعة العراقية، حول تسليح العراق، ويحدث هذا بينما تجري تفاصيل المأساة الإنسانية والسياسية والدولية على أرض جمهورية البوسنة

والهرسك، تحت ستار من الصمت والتواطؤ الذي تشارك فيه أوروبا وأمريكا، لتحويل الصراع الدامي الذي يجري بشراسة غير مسبوقة من مشكلة اقتسام وتقطيع أوصال دولة مستقلة إلى مجرد شكل للإغاثة، ومن الواضح أن أوروبا وأمريكا لا يريدان أن يتدخلا في الوقت الحاضر، أو أن يتخذ مجلس الأمن قرارات تتعلق بطبيعة الأزمة من جوانبها السياسية، إلا بعد أن تكون الجيوش الصربية قد ثبتت أقدامها وانتهت من تهجير وتفريغ المناطق المسلمة التي تنوي ضمها إلى جمهورية الصرب الجديدة وبعد أن تكون منطقة الأقلية الكرواتية في البوسنة قد اندمجت نهائيًا في كرواتيا المستقلة ونشأ أمر واقع جديد، والذي يجري حاليًا هو مهزلة دولية بكل المقاييس ما كان ينبغي أن نشارك فيها ؛ لأن مهمة قوات الأمم المتحدة هناك لا تزيد على تأمين وصول الإغاثة إلى المحاصرين، وأما السفن الحربية التابعة لأمريكا ولدول غرب أوروبا وحلف الأطلنطي فإنها لا تفعل شيئًا أكثر من مراقبة الشواطئ دون أن يكون لها حق منع السفن من إنزال شحناتها.

***

إذن ، فالمؤامرة قديمة وجديدة، بدأت مع ضعف الدولة العثمانية وتكررت مع انهيار يوغسلافيا ، والهدف هو القضاء على الوجود الإسلامي، وأطراف المؤامرة هي : الصرب الذين يمثلون الأداة، والكروات باتفاقهم مع الصرب على تقسيم البوسنة بينهما، وإسرائيل التي تسلح الصرب، والغرب الذي يسكت على المذبحة بانتظار القضاء على الوجود الإسلامي في البوسنة والهرسك.

يقول أيوب جانيتش نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك في تصريح خاص للأهرام عدد ١٨/ ٧/ ١٩٩٢: «إن التحركات العسكرية الأوروبية والأمريكية حول الصرب ، وما يحدث في مطار سراييفو هو عملية من قبيل الاستعراض الدولي

فقط، وقال: إن المعونات التي تصل سراييفو المحاصرة لا تزيد على ٥ ٪ من احتياجات المدينة».

وفي تصريح استفزازي للورد كارينجتون نشرته صحيفة الأهرام في عدد ٢٥/ ٢/ ١٩٩٢) قال: «إنه من الضروري ترك أطراف الأزمة حتى ينهكهم القتال» أي ترك الصرب يذبحون المسلمين ويقطعون أوصال جمهورية البوسنة والهرسك.

ويصف الأستاذ نبيل شبيب - في تحليل إخباري لصحيفة «المسلمون» عدد ٢٤ يوليو ١٩٩٢ - إن الوضع عبارة عن مسألة مستمرة، وتمثيلية دولية مستمرة أيضًا، وقال: إن الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا المتنافستين في كل المجالات متفقتان في مجال البوسنة والهرسك ، وذلك أنهما يريان ألا يتضمن أي قرار لمجلس الأمن على التلويح بالتدخل العسكري المباشر أو غير المباشر، ويرى الأستاذ نبيل شبيب أن المقاطعة الدولية البحرية لا قيمة لها ؛ لأن الصرب يحصلون على ما يريدون من خلال الحدود البرية مع رومانيا وروسيا واليونان ، وأن قرارات تحريك الأساطيل مظاهرة سياسية استعراضية فقط!.

ويصل الأمر إلى حد المأساة عندما تغلق الدول - مثل إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر وغيرها - حدودها في وجه اللاجئين، أي تسليمهم عمليًا للذبح وتسليم أولادهم إلى المؤسسات الكنسية التي نشطت لالتقاط الأطفال الذين لن يعرفوا أنهم من أصل إسلامي عندما يكبرون حيث سوف يتربون في جو كنسي مسيحي يحولهم رغم أنفهم إلى مسيحيين!!

والرئيس الأمريكي «بوش» يصرح قائلاً: « بأنه لم يتخذ قرارًا بإعادة انتشار القوات البحرية الأمريكية ، وأن السفينتين التابعتين للأسطول السادس الأمريكي اللتين أرسلتا إلى الأدرياتيكي تشكلان جزءًا من فريقين بحريين في المتوسط يبحران

من وقت لآخر إلى الأدرياتيكي».

أي رسالة إلى الصرب، لا تنزعجوا من التحركات البحرية الأمريكية، فما هي إلى مسرحية، واستمروا في ذبح المسلمين وتقطيع أوصال البوسنة والهرسك، والرسالة نفسها قالها ميتران ـ الذي زار سراييفو ـ فقد ذكر الرئيس الفرنسي فرانسو ميتران في مؤتمر صحفي في ختام قمة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا: «ليس في ذهن فرنسا إرسال قوات من أجل القتال في الميدان، لكنها مستعدة لإرسال قوات لحماية المساعدات الإنسانية» وقال: «إن أحدًا لم يطلب من فرنسا إرسال قوات مقاتلة، ولو طلب منا ذلك لقلنا أن هناك وسائل أخرى تبدو لنا أفضل».

***

■ ليست البوسنة وحدها:

ليست البوسنة والهرسك وحدها المقصودة، ولكنه الإسلام في أوروبا كلها وفي المناطق ذات الكثافة الإسلامية في البلقان خصوصًا، والمسلمون في البلقان من أصل أوروبي، وليسوا أتراكًا كما يدعى الإعلام الغربي، بل هم سكان أصليون في المنطقة اختاروا الإسلام دينًا لهم منذ عدة قرون. وإذا كان المسلمون في الأندلس، من كان منهم من أصل عربي أو من أصل أندلسي ، قد تمت إبادتهم وطردهم ؛ فإن الأمر يتكرر اليوم في البلقان، والإسلام موجود في كل مناطق البلقان في ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك، وكذلك في صربيا وكرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا والجبل الأسود بل وفي المجر ورومانيا وبلغاريا، وهناك تداخل عرقي وديني شديدين في هذه المناطق، فالمسلمون يشكلون ٨٠ ٪ في ألبانيا، و٥٤ ٪ في البوسنة والهرسك، و٩٣ ٪ في كوسوفو و ٤٠ ٪ في مقدونيا، وهناك ٢٠ ألف مسلم في سلوفينيا، وهناك ربع مليون مسلم بين صربيا والجبل الأسود، والمسلمون عمومًا في يوغسلافيا

الاتحادية سابقًا يبلغون ٦ ملايين مسلم.

وآخر فصول مخطط الإبادة، القديم الجديد، هو إلغاء الهوية الثقافة للمسلمين في بلغاريا، وهو ترك مسلمي ألبانيا فريسة للفقر والجهل ، مما يجعلهم عرضة للنشاط التبشيري الذي يعمل الآن على قدم وساق في ألبانيا، وكذلك عملية الإبادة السكانية والثقافية التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك، ويمكن أن نتوقع في غضون شهور قليلة أن يتكرر ما يحدث الآن في البوسنة والهرسك، في جمهورية كوسوفو ، وهي جمهورية إسلامية يبلغ عدد سكانها ٢ مليون نسمة وتقع بمحاذاة الحدود مع ألبانيا غربًا، وجمهورية مقدونيا في الشمال الغربي، ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ٩٣ ٪ وكانت هذه الجمهورية تابعة للاتحاد اليوغسلافي، ولكنها أعلنت استقلالها حديثًا بعد إجراء استفتاء على ذلك، ومعظم أصلها من أصل ألباني، وكانت كوسوفو مسرحًا لصراع طويل بين المسلمين والصرب منذ عدة قرون، حيث دارت في الإقليم المعركة الشهيرة بين الصرب والمسلمين في سنة ١٣٨٩ م، ثم خضعت صربيا للدولة العثمانية، وبعد الحرب العالمية الأولى قررت دول الحلفاء المنتصرة ضم إقليم كوسوفو إلى صربيا مكافأة لها على حربها ضد الأتراك، ثم حاولت صربيا تهجير سكان الإقليم من أصل ألباني، وإحلالهم الصرب، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت كوسوفو ضمن الاتحاد اليوغسلافي بقيادة تيتو، بادة الثقافة الإسلامية فيها، ومع انهيار الشيوعية وتفكك يوغسلافيا استعاد أهل كوسوفو هويتهم الدينية والحضارية والسياسية وأعلنوا استقلالهم عن صربيا وإقامة جمهورية كوسوفو المستقلة، وتدخل الجيش الصربي على الفور فأوقع العديد من المذابح في شعب كوسوفو، ولكن الوضع متجمد حاليًا في كوسوفو بانتظار ما يسفر عنه الصراع في البوسنة والهرسك، والجيش الصربي من جهته يعد

العدة لإبادة شعب كوسوفو حيث أخذت القوات الصربية مواقعها على الروابي والتلال المحيطة باثنتين وعشرين مدينة في كوسوفو واحتلت أسطح المباني والمنازل العالية التي تحكم الشوارع وتسهل عملية القنص، ويمكن أن نتوقع مصيرًا أشد فظاعة ينتظر كوسوفو، لأن صربيا تدعي ملكية كل أراضي كوسوفو، وأنها أراض مقدسة بالنسبة لها يجب أن تظل خاضعة لنفوذها، وتتكون كوسوفو من سهلين «كوسوفو» وسنجق، وتغطي مساحة قدرها ١٠٨٨٧ كيلومترًا مربعًا، وقد دخل أهلها في الإسلام، منذ سبعة قرون، والاسم الصحيح لكوسوفو هو «كوسمت» بمعنى «لؤلؤة» باللغة الألبانية.

وكان المسئولون الصربيون قد أخرجوا جثمان الأمير (لازار) آخر حكام دولة الصرب القديمة ، وطافوا به كل أرجاء المناطق في البوسنة والهرسك وكوسوفو، في محاولة للتذكير بأن الصرب كانت لهم دولة اندثرت بهزيمتها الساحقة على يد العثمانيين سنة ١٣٨٩، وأنه يجب الانتقام وإعادة أمجاد دولة الصرب، أي إيقاع مذبحة بالمسلمين في البوسنة والهرسك ثم في كوسوفو.

فهل نتفرج على المأساة، أم نفعل شيئًا من أجل مسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو. بل من أجل أنفسنا؟!

■ ■ ■